اذ لا يتقدم على الله تعالى اثابة احد وان بلغ ما بلغ من العظمة اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير كناية عن كونهم عند كلامه صلى الله عليه وسلم على
غاية تامة من السكون واطراق الراس وعدم الحركة والالتفات او عن
كونهم مهابين مدهوشين في هيبته لما ان كلامه عليه ابهة الوحي وجلال
الرسالة واصله ان كان سيدنا سليمان صلى الله عليه وسلم كان اذا امر الطير على نبينا وعم
بان تظل اصحابه غضوا ابصارهم ولم يتكلموا حتى يسالهم مهابة منه صلى
الله عليه وسلم فقيل للقوم اذا سكتوا لمهابة كانما على رؤسهم الطير
او عن كونهم ملتذين بكلامه واصل ذلك ان الغراب يقع على راس البعير يلقط
منه صغار القراد فيسكن بسكون راحة ولذة ولا يحرك راسه خوفا
من طيرانه عنه فاذا سكت تكلموا هذا الذي قبله وبعده من عظم
ادبهم في حضرته وخضوعهم بين يديه واجلالهم له وهيبته عندهم
وتوقيرهم له لشهودهم علو شانه وكمال مرتبته صلى الله عليه وسلم
وتخلقهم باخلاقه لا يتنازعون عنده الحديث اي لا يتخاصمون فيه
حديثهم عنده حديث اولهم اي افضلهم اذ كان لا يتقدم غالبا
بالكلام بين يديه الا اكابر اصحابه فكان يصغي لحديث كل منهم كما يصغي
لحديث اولهم ويحتمل ان المراد انه اولهم اذا تكلم بشيء قبله منه وعلم انهم
موافقوه عليه غالبا لما من الله تعالى به عليهم من تالف قلوبهم وكمال
اتفاقهم يضحك الى اخره اي هو تابع لهم ضحكا وتعجبا لكن علم مما مر
ان غالب ضحكه التبسم وهذا من خلقه العظيم على الجفوة اي الجفا
والغلظة وسوء الادب مما كان يصدر من جفاة العرب في منطقهم
ومسئلتهم يستجلبونهم اي الى مجلسه حتى يستفيدون من اسئلتهم
ما لا يستفيدونه من غيبتهم لانهم حينئذ يهابون سؤاله والغربا
لا يهابونه فيسالونه عما بدا لهم فيجيبهم فارفدوه اي اعينوه
بالعطا والصلة الامر مكافئ اي مقارب في مدحه غير مفرط فيه بنحو
ما اطرت النصارى به عيسى او من متحقق الاسلام مدحه بما يوافق

الواقع

١٦

١٥١

الواقع واما من يطريه بوصفه بما ليس له مما يستحيل على البشر فلا يقبله
منه بل يعنفه ويزجره عنه وكذا غير المتحقق بالاسلام من المنافقين
ومن في صرف الثنا عليه بانه لم يصفه بما يليق به مما رفعه الله تعالى اليه
واهله له لا يقبل ثناه اي لا يفتخر به ولا يعول عليه وقيل المراد لا يقبل الثنا
الا ممن له عليه سابقة نعمة وغلطه قايله بان احدا لا ينفك من نعمته صلى
الله عليه وسلم فالثنا عليه فرض عين حتى يجوز بالجيم والزاي اي يتجاوز
الحد والحق فيقطعه عليه حينئذ وفي نسخة بالراء من الجور والميل
بنهي او قيام عن المجلس وفي الحديث من نهاية كماله وعظم خلقه ورفقه
ولطفه وحلمه وصبره وعفوه وصفحه وشفقته ورافته ورحمته
ما لا تعد فرائده ولا تحصى فوائده فقال لا وكذا رواه الشيخان عن جابر
اي بل اما ان يعطيه او يقول له ميسورا من القول فيعده او يدعو له
نعلم انه ليس المراد انه يعطي ما طلب منه جزما وانما المراد انه لا ينطق
بالرد بل ان كان عنده ما يسال وساغ الاعطا اعطاه والا سكت
كما في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد وقال العز بن عبد السلام
معناه لم يقل لا منعا للاعطا بل اعتذارا كما في قوله لا اجد ما احملكم عليه
وفرق بين هذا ولا احملكم انتهى ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
للاشعريين لما طلبوه الحملان والله لا احملكم لان هذا وقع كالتاديب لهم
لسؤالهم ما ليس عنده مع تحققهم ذلك بقوله لا اجد ما احملكم ومن ثم حلف
قطعا لطمعهم في تكلف التحصيل بنحو قرض او استيهاب مع عدم الاضطرار
له وايضا فمحل ذلك ما اذا افتتح السائل بالسكوت ولم يعتنق بنحو وعد
او دعا للاضطرار حينئذ الى قوله لا فمعنى ما قال لا اي في حال الاختيار
مع عدم تعنت السائل والاحتياج الى لا تعذرا ونحوه وكان اجود بالرفع
في الاصل الاشهر على حد كان اخطب ما يكون الامير قائما والتقدير كان م
اجود اكوانه اذا كان مستقرا في رمضان حتى ينسلخ اي يفرغ فيه نحو
حيث جعل كونه جودا ومبالغة كالحي وبالنصب بما مصدرية ظرفية والفصل